خواطر

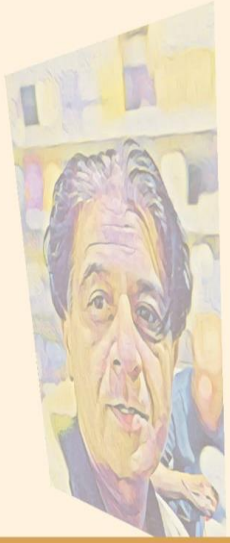

على قارعة خاطر

محمد فتحي المقداد

خواطر غارقة

على قارعة خاطر

تأليف

الروائي محمد فتحي المقداد

٢٠٢٠

٣

المقدمة

الحمد لله على نعمة العقل وكفى.. ومن امتلك العقل كانت لحياته معنى من التكليف والتفويض، وعليه دار معنى: النّور والظلام، والحساب والجزاء، والصواب والخطأ، والحقّ والباطل.

ومن سُلب هذه النّعمة سقطت عنه التكاليف، وعاش حياته مُحتاجًا للعطف والرّعاية من الآخرين.

على قارعة خاطر، رؤى وتأمّلات تردّد صداها في خاطري زمانًا، وكنتُ أدوّنها على فترات مُتباعدة، هاجس الخوف والضياع أقلقني، لم أستطع تركها في بطون الدفاتر طيّ النسيان والمجهول، حاولتُ قدر استطاعتي التوقّف على أجملها، وانتقاء أفضلها، فما كان منها صوابًا حقًّا فمن الله، وما كان من خطأ وتهوّر مُعوَرٍّ فمن نفسي. أرجو من الله أن أكون قد وُفّقتُ في نشرها للقرّاء علّ فيها شيئًا ممكن الاستفادة منه، وإيمانًا منّي بأنّ كل ما يُكتّبْ سيُقرأ عاجلاً أم آجلاً. كان هذا الكتاب

عمّان – الأردن
١٥\١٠\٢٠٢٠م

الروائي
محمد فتحي المقداد

في المدينة

المدينة غافية على أحلامها غير آبهة بالعابرين، وهم يفتضّون بكارة أحلامها المعتقة بعبق الماضي.

غايات مرتاديها تختلف من شخص لآخر.. كل منهم متدثّر بخصوصياته خلف واجهة ملامح وجهه، وثيابه ذات الألوان المحببة له، ربما لا تروق لآخر ولا تعني له شيئا، ربما يزدريها لتعالٍ في نفسه، أو حسد لصاحبها.

رتم الحياة السريع لا يتوقف أبدًا ليرحم المتعبين، قطار يسير بسرعة البرق إلى منتهاه، يتخلّف عنه المرضى والعجزة والكسالى، ولليائسين والمحبطين وفاقدي الأمل في الحياة والمستقبل فلهم حكايا أخرى.

مراكز الانطلاق مثيرة للاهتمام، نظيرتها قديمًا مبارك القوافل في زاوية من سوق المدينة. في هذه الفسحة التي تستحوذ على خدمات المسافرين، من سُبُل الرّاحة العديدة كالمطاعم

والمحلاّت التجاريّة التموينيّة. حمّامات عامّة أغلبُها مأجورة وهي نظيفة، مقارنة مع أخرى مجانية ليست بمستوى تلك.

مواقف منظمة للحافلات والباصات وسيّارات تاكسي عمومية، مبين عليها الجهات وخطوط سيرها على الطرق من خلال لوحات مكتوب عليها بخطوط جميلة واضحة.

ففيها تتجلّى عمليات التركيب والتحليل، مجمّعات يجتمع فيها البشر.

جاؤوا إليها من أماكن مختلفة مُتباعدة بغرض الانتقال إلى أعمالهم وأشغالهم ليبلغوا أهدافهم في مواعيدها المضبوطة بلا تأخير، هذا الأمر لا يتوقّف على مدار الساعة.

لماذا لا يتمسّك المسافرون بكراسي الحافلات والباصات والسيّارات العموميّة، ومقاعد محطّة الانطلاق أو كرسيّ المقهى أو المطعم.

أهُمْ زاهدون بالكرسي..!؟.

ولماذا يزهد المسؤول بكرسيّ المقهى والمطعم..ّ!!

ويعمل بعناية فائقة للحفاظ على كرسيّ وظيفته..

تساؤل مشروع:

لماذا يترك الكرسيّ طواعيةً، وبكامل الرضا.. ولا يحدث صراع عليه، كما يحدث مع الكراسيّ الأخرى؟.

يتبادر للذهن من الوهلة الأولى أنّه لا أهميّة له في حياة الأفراد. كونه أدّى خدمة لهم خلال فترة زمنيّة.. عليهم المغادرة لوجهتهم دون تلكّؤ؛ فيتركوه ليستبيحه غبرهم، وبدوره يتركه أيضًا لغيره.. وهكذا دواليك.

كيف لمن يجلس على كرسيّ يسمح للآخرين بتقاسمه معهم. رغم ما يقال: "الكرسي غالي".. ولكنّه على كلّ حال، هو كرسيّ الباص والقطار والسيّارة العموميّة والمحطّة والحديقة العامّة، وكرسيّ طبيب الأسنان، وكراسيّ أماكن الانتظار في المشافي والعيادات الخاصّة والعامّة، وكرسيّ الحلاّق رغم ما

يراق حوله كثيرًا من الاعترافات والنُّكات المضحكة، وغير المضحكة، والمؤدّبة والخارجة عن حدود الأدب.

فلسفة الكراسيّ الماثلة في الأذهان، أنّها غير قابلة للتداول السلميّ خاصّة في عالم الشّرق على العموم، إلّا من شوارد قليلة عن القاعدة العامّة، على خلاف تداول الكراسيّ في عوالم الديمقراطيّة، والرضا طوعًا بمُخرجات صندوق الاقتراع المَحُوطِ بالنزاهة القانونيّة. بعيدٌ بنتائجه عن قاعدة الـ **٩٩'٩٩** السّائدة في بلاد الدكتاتوريّات العاتية.

مُجمّعات (مراكز انطلاق)، (كراجات) تحتّل مساحات واسعة في عموم المدن والعواصم؛ فمنها ما هو مخصّص للانطلاق إلى أحياء وضواحي المدينة، فقط يحتوي على باصات النقل الجماعيّ الداخليّ وسيّارات الخدمة (التّاكسي)، وهناك قسم يحتوي على تسيير رحلات فيما بين مناطق ومحافظات البلد، أو إلى البلدان المجاورة.

الأعداد الضّخمة من النّاس الذين يدخلونها بشكل يوميّ، لقضاء حوائجهم، وتدبير سبل معاشهم يرتادون هذه الأماكن.. جاؤوا من أماكن شتّى متقاربة أو متباعدة، اجتمعوا على غير موعد.. وافترقوا بلا وداع، يقتلهم الانتظار، لا يفتؤون ينظرون إلى ساعاتهم، ولا حرج من سؤال شخص آخر عن مؤشّر الوقت، عادة ما يكون التأفّف سيّد الموقف، والألسنة تعبر غاضبة عن التأخّر عن المواعيد، ونفخ دخان السجائر مصحوبًا بأنفاس القهر.

الاختلاف سنّة الحياة.. وظاهرة طبيعيّة معبّرة عن حالة اجتماعيّة صحيّة، إذا لم يكن تعصّبًا لرأي أو فرض رأي بالقوّة.

وهذا الأخير لا مجال له في محطّات ومُجمّعات الرّكاب، حتّى في المطارات فيما بين مُرتاديها، إلا رجل الأمن الذي يأمر وينهي؛ لتوطيد الأمن، وتسهيل حركة العبور والخروج، أو لتفتيش الأمتعة والحقائب، ولفرض القانون الذي يراه

مُناسبًا بدون أيّ اعتراض من أحد خاصّة في بلادنا، نظرًا للحساسيّة الأمنيّة تجاه كلّ همسَة أو نَفَس، لأنّ كلّ المواطنين متّهمين حتّى تثبت براءتهم.

اختلاف الوجوه وأشكالها وألوانها، والأجسام بطولها وعرضها، والأعمار بعدد سنينها، والألبسة أيضًا بأشكالها وألوانها، والعيون بنظراتها ما بين ساهمة مبهورة، وأخرى مُبحلقة بنظرات حادّة تلتقط كلّ صورة، وغيرها خائفة ظاهرة برأرأتها غالبًا ما تُخفي شيئًا.

هذه الأماكن بوتقة لكنّها عاجزة عن صهر مُكوّنات محتوياتها على الإطلاق، فلكلّ وجهة هو مولّيها، لا يبرح تفكيره في شؤون بيته ووظيفته، أفكار كثيرة تتناوبه، والعامل المشترك الذي غالبًا ما يُوحّد الرّجال؛ هو وجود امرأة لتلفت الانتباه إليها من الجميع، إمّا بنظرات عابرة أو زائغة حدّ الاشتهاء إذا ما كانت معالم الجمال ظاهرة عليها.

ولا تنقضي التأويلات، والبحث عن دلائل للتعرف عن موطنها ووجهتها.

الاختلاف والتنوّع سنّة المكان الذي هو الرّابط الوحيد الذي يجمع فيه هذه المكوّنات البشريّة رغم تمايزها في كلّ شيء.. من ينظر الوجوه.. لا يرى فيها إمّا العبوس والاكفهرار.. أو الابتسامة.. فقط يرى الظاهر للعيان.. ويختفي خلفه الفرح والسرور.. والحزن والألم.. من النادر أن يخلو منها أحد على وجه البسيطة أبدًا.

***

صراع الفاصلة والنقطة

بعد الفاصلة:

قبلها أغمضتُ عينيّ على نهاية؛ فوضعتها بلا مبالاة..!!

المسافة بعدها أذهلتني..؛ لأنّها أرهقت حروفي، أستجمع أنفاسي المُتقطّعة. وضعتُ نقطة.. وغادرت فرارًا.

بين النقطة والفاصلة:

- هل النقطة تفي بالغرض بدل الفاصلة؟ تساءلتُ مُستفهِمًا.

-قال الأستاذ:

(احتجاجٌ غاضبٌ من الفاصلة: "سأقاوم كلّ من سيُصادر دَوْري، ويحتلّ قراري".

النقطة تتريّث باتّخاذ قرارها، حتّى تهدأ العاصفة: سينتهي كلّ شيء حالما افتتحتُ سطرًا جديدًا، بعدما ختمتُ سابقه باطمئنان".

دوّي الاحتجاجات الصّاخبة، وصل مسمعها خافتًا لا يكاد يبين).

- يتابع الأستاذ: "لا أهميّة لهما في هذا الزّمن المختلف. كلّ من يكتبُ في العالم الأزرق، لا يُعيرهما أيّ اهتمام".

- سيّدي، الآن أدركتُ عدم فهمي للكثير مما أقرأ..!".

احتضان نقطة:

ما زلتُ على يقين أنّ المشكلة لم تُحل. تشكّي الفاصلة المستمرّ يقلقني. الشّعور الدّائم بالمظلوميّة يأخذ مداه، ويخلق حالة توتّر دائم.

الفاصلة استعملت ذكاءها في محاولة لتتخلّص من هيمنة النّقطة؛ فتوددّت للنقطة زمانًا لتحقيق مآربها، في حالة شبيهة بغرام الأفاعي، وفي بادرة حُسن نيّة ضمّت إلى صدرها نقطة، وأمام كاميرات الإعلام، وغيّرت من نسبها، لتُعرف بالفاصلة المنقوطة، رغم ذلك بقيت وظيفتها الاستئنافيّة في متابعة الكلام، وما بعدها أيضًا نتيجة ما سبق.

بحجم رأس الدّبّوس وضع قلمٌ نقطة في منتصف سطر؛ انتقالٌ تلقائيٌ لافتتاح سطر جديد. اغتاضت الفاصلة؛ ولم تُفلح في مسعاها باحتضان نقطة، وحملها معها في مواضع كثيرة، ولم تقتنع أنّها بلا نقطة؛ ستبقى ناقصة الدلالة.

حتميّة الفاصلة:

لستُ مُتأكّدًا من حتميّة وجود الفاصلة في خاصّة كلامي فيما بيني وبين نفسي، شعور غامضٌ تسلّل إلى دواخلي بأنُها تُلاحقني بإصرار في كلّ محطّاتي.

يا إلهي..!! إنّها الفاصلة اللّعينة، كنتُ مُتخفّيًا للقاء حبيبتي، وكم نسجت من مقدمات، وأسرفتُ بإفناء ساعات ما قبل اللّقاء لانتقاء أجمل الكلمات، وأرقّها غزلًا وعشقًا وهُيامًا.. وما إن انتبهتُ لكلّ وقفة؛ لالتقاط نفس يُسعفني؛ حتى تأتي الفاصلة لتضع رسمًا لها.

علاقاتي كثيرة مُتشعّبة مع فئات اجتماعيّة عديدة، فرضت الفاصلة وجودها بالقوّة، ولم تتركني وشأني.

كرهتُها.. كرهتُها، وبَيّتُ النيّة بمتابعة كلامي وإيصاله ببعضه؛ اشتبكت كلماته، وترامَتِ المعاني عكس ما رَجَوْتُ، وتتطلمَسَتْ عُجمةً. حاولتُ.. وحاولتُ، ولم تُفلح جميع

مَسَاعِيّ في الإفلات من قبضتها. أخيرًا..!! أدركتُ أنّها تنقذني من تقطّع أنفاسي.. وتُريحني من لُهاثٍ.. وتجلو غبار شكّ التفسير والتأويل.

رضيتُ عنها.. وما يضيرُني أن تكون بين الحاء والباء. ولن أستغني حتّى عن منقوط

دكتاتوريّة النّقطة:

لستُ مضطرًّا لفضح نوايا الفاصلة، وغيْرتها المُزمنة من ضُرّتها النّقطة، التي لم تألُ جُهدًا بتذكير الفاصلة وعلى الدوام بأنّها مجموعة نُقاط، اِلتَوَت تكوّرًا على نفسها بخجل وانطوائيّة؛ لتزاحم على الصدارة في كافّة النّصوص الكتابيّة؛ فهي شديدة الغيرة، لا تحتمل الإهمال ممن يكتب على ورق أو ملف (وورد) إلكترونيّ أبدًا، ومع ذلك عندما اتّخذت نقطة

لها لم تُغيّر من الأمر الكثير الذي كانت ترجوه. بل بقيت مُحاصرةً في جميع مجالاتها بالنّقطة التي لا فكاك منها.

شجرة نَسَبِ النّقطة عريق، ضارب بجذوره بَواطِن أبجديّات اللّغات، وفي كلّ تجمّع لإحدى أبناء وأحفاد وأسباط النّقطة؛ ستخلق تشكيلاً حروفيًّا رامزًا مُفردًا بذاته، أو مُجتمعًا لتكوين كلمة، ثمّ جُملة، ومقطعًا وفصلاً وبابًا وكتابًا وموسوعة، ولم تترك النّقطةُ الأبجديّةَ في حالها، بل سكنتْ معظم حروفها، وكأنّها حارس ومراقب من فوق ومن تحت أو في صميم قلب بعضها الآخر.

ولم تدع النّقطة تدخّلَها في قول القائل، إلّا وتكون قبل قوله على شكل نُقطتيْن فوق بعضهما، كأنّهما حاجز؛ لتنبيه السّامع لأمر ما ليس على نفس الدّرجة من الأهميّة للمُتلقّي. وإذا ما جاءت نقطتان خلف بعضهما، مما يعني فتح فضاء كبير للتفكير والإضافة بما يتناسب مع فهم القارئ لما يقرأ.

وما زال إصرارها التواجد في نهاية كل تعبير، وفي نهاية السّطر أو وسطه أو بعد كلمة واحدة تحتلّ سطرًا كاملاً، وتُجبِرُ الكاتب على افتتاح سطر جديد. دكتاتوريّة النّقطة الصّارمة، كأنّني بها أمام الزبّاء حاكمة تدمر، أو شجرة الدُّرّ في قاهرة المُعزّ، وقد أخضعن الرّجال الأشدّاء ذوي الأشناب المُتدلّية والمفتولة، وعضلاتهم النّافرة المُنتفخة.

النقطة بداية ونهاية في ذات الموقف والمكان؛ فهل هذا مُبرّر دكتاتوريّتها، وربّما صَلفها وتعاليها في قائمة علامات الترقيم؟ وضوابط الكتابة علامات الترقيم، كما إشارات المرور.

***

الممحاة

زمانًا طويلاً، ومنذ عهد طفولتي، وبداية دخولي المدرسة، ابتدأتُ تعلُّم الكتابة بقلم الرّصاص ذي الأشكال والألوان البهيجة، وأحبّها على وجه الخصوص من يحمل في عَقِبِه ممحاة لسهولة مسح أخطائنا الكثيرة المُتكرّرة؛ فلا منجى ولا مناص لكلمة أو جملة أو سطر منها.

كان هناك مع بعض الأولاد أقلام حبر غليظة الحجم في أعلاها أربع كبسات بألوان أربعة، وكم كان امتلاك هذا القلم من الأمنيات لندرته عند البائعين، قبل انتشار محلات مُتخصّصة ببيع القرطاسيّة ومستلزمات المدارس، وهي ما تعارفنا عليه بعد ذلك باسم (مكتبات)، رغم أنّ أرففها لا تحتوي على أيّ كتاب.

ومازال هذا دارجًا على الألسنة مع خطأ استخدامه بنفس الدلالة، بالتأمّل نجد أنّ هذا المجال تفرّع في اتّجاهات

متنافرة متقاربة؛ فمحلات بيع مستلزمات المدارس والطلاّب، وأخرى تخصّصت ببيع الكتب فقط، وأخرى بكتابة الاستدعاءات، وأدوات التصوير (الفوتوكوبي) للمعاملات والأوراق، وغيرها اتّخذ شكل ما بعد خدمات الطباعة في تجليد وتذهيب أغلفة الكتب.

*

الصديق سلطان أخبرني: "لم أحبّ ممحاة قلم الرّصاص يومًا ما، وفي صغري كلما اشتريتُ قلمًا أقضمُها بأسناني".

- "أهذه الدرجة تُحبّها..!؟".

- "لا.. لا.. أبدًا، لا أحبّ أن أرسم خطًا وأمحوه، بل أطوّره لبناء فكرة جديدة، لذلك تحوّلتُ لاستخدام أقلام الحبر الناشف خاصّة الأسود منها، مُناكاة بقلم الرّصاص".

-" أنا على العكس منكَ تمامًا، ما زلتُ أُكِنّ الاحترام لقلم الرّصاص؛ لأنّه ثابتٌ على صدقه فيما يكتب، بلا تزويق وتلوين، على خلاف الكتابات المتلوّنة حسب المواقف".

ابتعدتُ كثيرًا عن الممحاة الملازمة لقلم الرّصاص، وأراها كأنّها عين رقيبِ أمنيّ على ما نكتُب؛ يملّ من الأفكار ومن أصحابها، أو أن يتسرّب شيئًا منها خارج الإطار؛ فتكون بكامل لياقتها استعدادًا للمحو في سبيل التعتيم والتجهيل.

للإنصاف سأكونُ حسن الظنّ بنواياها، وأرى أنّها حريصة على حياتي فيما أكتبُ على الأخصّ حينما كنتُ مُتحمّسًا للحياة في طور الشباب الأوّل، لأنّني بلعتُ الطّعم مثل أبناء جيلي ومن هم يكبرونني بسنوات عمريّة، ممن كانوا يمتهنون الخطابات والتنظير لفكر حزب البعث، ومن خلال منهاج التربية القوميّة في مرحلتي الإعداديّة والثانويّة، وقبلها كان اسمها كتاب الوطنيّة.

حقيقة حفظتُ موضوع النقد والنقد الذّاتي، وهو أهم المنطلقات النظريّة الكُتيّب الصغير بحجمه، الكبير بشروحاته الموسوعيّة.

الممحاة.. شكرًا لها.. تحيّة لها.. تحيّة ثانية من القلب، لولاها لكنتُ ذهبتُ في رحلة اللاعودة إلى خلف الشّمس، ولعلّ الذّباب الأزرق لم يكن ليعرف مصيري، ومن الممكن أن أكون ذهبتُ ضحيّة في سجن تدمر، أو في المزّة، أو في كركون الشيخ حسن، وانمحى خبري من ذاكرة أبناء بلدتي بُصرى، وآخر لسان يذكرني.. لسان أمّي.. وآخر دمعة تُسكب من أجلي دمعتها، ولكن بعد موتها، مؤكّدً أنّ ذكري انطمس معها في قبرها. ولانتهى خبري قبل عصر الفيسبوك والواتساب.

*

حَسْبُ الشاعر (إبراهيم ناجي) من رائعته (الأطلال)، هذه الأبيات الثلاثة، ومن يعِش سراب الذكريات المُحبّبة إلى

النفس، ومع استدراج الآلام وتجديدها، عندها توصف بالذكريات الأليمة، وللمتأمّل قراءة متأنيّة:

(أَيُّهَا الشَّاعِرُ تَغْفو// تَذْكُرُ العَهْدَ وَتَصْحو

وَإِذا مَا إِلتَامَ جُرْحٌ// جَدَّ بِالتِذْكَارِ جُرْحُ

فَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَنْسى// وَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَمْحو)

وفي البيت الأخير ضالتي لرفد فكرة المحاة، ولفت الانتباه لفكرة التعلّم، والصبر على مشّاقه، وغرابة طلب الشاعر بتعلّم النسيان والمحو، ومآل النسيان الأخير هو المحو على الأقل من ساحة الشعور الأمامية، وإرساله لاحقًا إلى مستودعات الذّاكرة. رغم أنّ الذكريات جزء أساسيّ من تاريخ أيّ إنسان على وجه البسيطة بلا استثناء.

والنسيان والمحو صفتان متلازمتان للبشر الأسوياء جميعًا، وبالانتقال من رحاب المحاة الماديّ إلى المعنويّ؛ تتجلّى عظمة العفو والتسامح، لمن يستطيعه من الأنقياء الأصفياء

ذوي الهمم العالية، هؤلاء هم ملح الأرض، وإشراقة الحياة، والخُلُق السّامي. وهذا المستوى نقيض الحاقدين والشّامتين، من المتخيّل تباعُد شُقّة السُّموّ الإنسانيّ بين النقيضيْن.

***

من ثقب الباب

وقفتُ مشدوهًا أمام ثقب الباب الذي كان الولد ينظر منه، وتضيق الأبواب والنوافذ حتى ينتهي المطاف أمام ثقب باب مغلق ننظر من خلاله على الدنيا، وما الذي يمكن أن يراه المرء عندما ينظر من ثقب الباب، ومن الممكن أن يكون بقصد التلصّص، أو بقصد النظر للحياة من ثقب الباب؛ فلن يرى النّاظر إلا أقل القليل، ويغيب عنه الكثير مما يقع خارج إطار ثقب الباب. هذا عدا عن ألم الظهر الذي سيشعر به جرّاء تلك الوضعيّة؛ ما أروع التمرّد على إطار هذا الثقب الصغير، وكسر تلك الأبواب، والانطلاق لرحابة الدنيا الواسعة الغائبة خلف ثقب الباب.

مُحاولة النظر للحياة من شُرفة واسعة؛ تتيح رؤية جمالياتها؛ فنحن من نصنع ثقب الباب والشرفة.

وثقب الباب عوالم ومواقف عديدة ذات بعد فلسفيّ عميق.

*من ثقب الباب: رأيتُ أشياء لا تُحكى.. غير مسموح الكلام عنها..!!

*من ثقب الباب.. لا أرى إلّا ما يُقابل الثقب فقط.

*من ثقب الباب.. الرؤية محدودة، بحجم الثقب.

*ثقب الباب: هو المدخل الصالح للمفتاح.

*ثقب الباب: هو المحطة الأهمّ؛ التي ينطلق منها المفتاح في رحلته ما بين الفتح والإغلاق.

*إلى ثقب الباب.. يقف الصبّي الصغير على رؤوس قدميه ليصل إليه.

*إلى ثقب الباب.. ينحني الطويل لتصل عينه إلى ثقب ذلك الباب، مُتطفّلاً..

*ثقب الباب وسطيّ بموقفه، عندما اتّخذ موقعه وسط مساحة هائلة.

*لو لا ثقب الباب.. سيبقى الباب مفتوحًا..!!

*ثقب الباب هل هو تشويه.. أم حاجة؟.

*ثقب الباب الضيّق يُفضي إلى فضاء رحب.

*من ثقب الباب ترى قارعة الطريق ومن عليها.

*من ثقب الباب قد تنفثُ أنفاسًا في الفضاء الرحيب.

*من ثقب الباب يتسلل ضوء في خط مستقيم... إلى الجهة المقابلة.

*من ثقب الباب قد تعرف أنّ البيت فيه أهله.

ثقب الباب شيء كبير ... لا تستصغروا ثقب الباب فقد ألهم كاتبًا شيئًا من خاطر. وهو ضرورة لا بدّ منها.

*و(إلّلي ما يشوف من بُخْش (ثقب) الباب.. أعمى).

وفي منحى المجاز فإنّ الحياة ثقب ومخيط، وثقب الباب فاتحة لكلّ عمل يُراودنا، أحيانًا يكون واسعًا، وأحيانًا يضيق،

حتى لا ترى منه الضوء؛ فاجعل لحياتك فتحة أمل سَمّها ما شئت. وفي هذا الثقب أسرار قد تزعجك، وقد تدهشك، بعدها ستعود سعيدًا أو حزيناً يائساً لذا لا تغررك الثقوب.

***

بين أدب المهجر.. واللجوء

الأديب المهاجر بإرادته. ابتغاء حاجاته المعاشيّة يكون خياره هو.

أدب المهجر نشأ من حالة تجمّع العديد من الأدباء في بلاد هجرتهم.. وكانت نتاجاتهم مليئة بالحنين والأشواق لأوطانهم. وهم على أمل بالعودة يومًا ما. بعدما تتحسّن أن ظروفهم المعاشية.

وهناك أدباء ومُثقّفون هجرتهم كانت قسريّة بسبب آرائهم ومُعتقداتهم. أغلبيّتهم حصلوا على لجوء سياسيّ أو إنسانيٍّ. مثلهم مثل من فرّ من الحروب والتهجير القسريّ.. هؤلاء أنتجوا نوعًا جديدًا يمكن أن نُطلق عليه أدب اللّجوء.. باختلافه عن أدب المهجر في كثير من جوانبه، رغم احتوائه على العديد من أغراض الأدب المهجريّ.

مع هذا التشارك والتشابه بين الأدبيْن في أشياء. من هنا يكون أدب اللّجوء أوسع كثيرًا بمعطياته ومُخرجاته.

ملامح أدب اللّجوء بدأت تتبلور وتتّخذ أشكالًا عديدة، لتأسيس مُصطلح أدب اللجوء.

وبالعودة إلى المعجم اللّغويّ يتبيّن بجلاء حقيقة ما ذهبتُ إليه:

تعريف اللاجئ: لاجئون اسم فاعل من لجَأَ إلى هاربٍ من بَلَدِه إلى بلدٍ آخر فرارًا من اضطهاد سياسيّ أو ظلم أو حرب أو مجاعة.

واللاّجِئُ : مَن لاذ بغير وطنه فِرارًا من اضطهاد أَو حرب أَو مجاعة.

والمَلاجِئُ هي الملاذات الآمنة. هي الأماكن التي يقصدها أيّ لاجئ في الكون. طلبًا للأمان وممارسة الحياة باطمئنان

بعيدًا عن الخوف من القتل أو الاعتقال، وتقييد حُريّاته الشخصيّة.

المَلْجَأُ: اسم مكان من لجَأَ إلى: مَعْقل، حِصْن، مَلاذ؛ وهو مكانٌ يُحْتَمى به.

بينما المهاجر من كلمة هجر للشيء أو الشخص هجرًا وهُجرانًا: تركه وأعرض عنه.

***

خاطرة على قارعة الأدب

على شُرفة حانةِ ذكرى ثَمْلَى احتضارًا..

دهاليز اتّسعت ساحاتها لتَرنّحات كآبتي المقبورة في صدري.

وانزلاق ابتسامة على شفتيّ؛ تستدرجُ أكوام حسد،

وعيونٌ تتملاّني..

تنهشُ بقايا من بقايا هيكلي الواهن.

تستقوي.. تزدري..!!

تنشط في اعتلاء مراتب قهري..

ترقص طربًا على أنغام جراحاتي..!!

بسمتي صكّ امتلاكي الكون، ومفتاحه.

بكلّ ثقة أعلِنُها:

"أنا متفائلٌ حدّ الفجيعة" .

متسائل:

"أعليكَ حرارة؟ ".

وقيل كذلك:

"يبدو أنّه تناولَ دواءً ليس له".

آخر مُخاطبًا نفسه: "مسكينٌ.. حِجابه ضاع منه".

---

*(الحجاب – التميمة المكتوبة تعلق في الرقبة وتتدلّى على الصدر)

***

ليلي مُتعَبٌ..

وأنتِ وخْزُ الوقتِ المُثخَن هدرًا..

أظنُّ أنّ الفرح ضلَّ طريقه إليكِ. .

ربّما يصل إلى قلبكِ المُزدَحِمِ تأخّرًا؛

عندها لن يجد مُتّسعًا للإقامة هناك..

الأحزانُ لا تقبل مُنافسته؛ فتطرده..

أوّاه..!!

يا لقلبكِ المسكين المُقيم على أحزانه إدمانًا..

لن أجازفَ ثانيةً على ناصية سعادتي علنًا..!!

سأتخفّى..

لترتاح الأعيُن من تُخمَة التلصّص عن متابعتي.

***

الموبايل

أُحدّثُ نفسي وأنا مُرغم على التفكير فيما لو دفعتني الظروف لأن أحمل معي وعلى مدار اليوم وأينما ذهبتُ وتوجهتُ وعلى سبيل المثال، جهاز تلفزيون وآلة تسجيل وراديو وساعة وتلفزيون وآلة تصوير وجهاز حاسوب، وآلة حاسبة ، ودفتر مع قلم لكتابة الملاحظات بكل تأكيد يتوقف عقلي من هول ذلك، وخاصة عندما أسترسل متخيلاً أنني أحمل كل تلك الأشياء على عاتقي على مدار اليوم، الأمر الذي يصيبني بالفزع والتعب والأمراض التي ستسكن جسمي وآلام المفاصل، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله وحده.

بهذه الصورة التي اتضحت رؤيتها، ألا يكون الهاتف النقال نعمة مُسَخّرة بين يدي ؟ .

***

و(ما بين حانا ومانا ضاعت لحانا)

ما بين الممكن والمستحيل مساحات ضياع الرؤى واختلاف الكلمة وتباين المواقف.. للتعبير عن مرحلة قاتمة في تاريخ الثورة الفلسطينية، التي قتلت مع بداية انطلاقتها خارج فلسطين، فكانت مُتعدّدة الولاءات، ومتعدّدة البنادق، فكانوا أقرب لحالة البيادق على لوحات شطرنج الأنظمة العربية والعالميّة..؛ فكانت البُنى الفكريّة مُتباينة حدّ الاقتتال؛ فجاءت النتيجة فصائليّة مُتناحرة مُتنافرة، من المستحيل الاتفاق فيما بينها على القضيّة التي توشّحوا بملاءتها؛ فكانت ستارًا ارتكبت كلّ الموبقات تحتها، مع لافتات من الشّعارات الرّنانّة الواهمة المُوهمة، والنتيجة مُخرجات مخيّبة للآمال، قاتلة للطموحات العربيّة.

بربّك قل لي: كيف تبرّر لي، فلسطينيًّا في رام الله، يُحرّض بقوّة على أخيه في غزّة؟.. (لا أقصد إلّا الثورة السوريّة) المُتشابهة

في كثير من جوانبها مع الفلسطينيّة بكافّة معطياتها، إلا أنّها اختلفت عن الفلسطينية كانت داخل سوريّة.

(**أرجو أن يتّسع صدركَ لما كتبت**) صديقي، الألم الفلسطينيّ يُؤلمني قبل السوريّ. الحقيقة قاسية فلنتقبّلها مُجرّدة كما هي بشجاعة أدبيّة.

***

كلمة كانت

كلمة كانت مليئة بالحبر، اندلقت محتوياتها في جوفي، عندما تلعثمت أثناء نطقها. عيونهم تُحدّقني باهتمام، لاقتناص فرصتهم. حمدتُ الله على نجاتي.

***

متابعة

في سوق دمشق الكبير.. التقيتُ بأبي جهل مصادفة، من غير المُتوقّع ذلك أبدًا، ولا في الحلم..!!.

أشرتُ إلى صورته في حافظة نقودي، وإلى واحدة أخرى على حائط كبير.

هزّ رأسه مُبتسمًا، وتابعَ دونما اكتراث لِيَدي الممدودة إليه.

***

ما وجدتُ شيئًا..

لا تستثيري كوامني أيّتها الكلمات..

مذ سَكَتَ تنابُح الكلاب فجأة..

أشَبِعتْ بعد نهشها..؟

أمِ الْتَهتْ بجيفةٍ جديدة..

ألم تتعب من تناهُشِ خبزة بيد صغيري..

كان يلهو بها..!!؟

لم تترك لأطفالي شيئًا يأكلوه..

وما زالت تعوي على خراب مقبرتي

بين الحُطام..

وتلتهم الأنين..

***

استجداء

كلّ صباح تستفيقُ الكلمات، تستجدي طريقها منّى.

- تقول لي: "أعطني حريّتي.. أطلق يديّ". ثرثرة داخليّة لم أفهم من ضجيجها شيئًا، وما درَتْ بأنّني أصَمُّ.

***

الردّ المناسب

عدما يكون الرّدّ للإيهام يأتي ضعيفًا، حتّى إذا كان ظاهره قويًّا ومُمانعًا.. لأنّه في جوهره ضعيف.

التّصعيد للدرجة القُصوى إعلاميًّا، لبرمجة عقول النّاس، ومحاولة إقناعهم بصوابيّة وأحقيّة الرّدّ. والرّدّ الاضطراريّ لتبرير الحشد والتجييش، ولإقناعه أوّلًا.

***

على شُرفة ذكرى

- "سيّدتي.. أرتالُ الحزن تُباغتني، وربّما أوشَكْتُ على البكاء.. يومي مُزدحمٌ بأسبابه".

- ردّدتْ صدى نحيبي: "على فكرة.. منذُ صحوتي مع الشروق، ورغبةٌ عارمة تستدِرُّ دموعي".

-سيّدتي أرجوكِ: "لا وقت لديّ للتفكير.. يشغلني..!! من سيوقدُ لي الشموع؟".

- لتخرجَني من استغراقي، أجفلني صراخها: "الجميع بانتظار نكشة لينفجر، وأتفهّمُ خصوصيّة أحاسيسكَ".

- "ولكن، أين سأوقدها؟. يا سيدتي".

- "أوقدْها في قلبكَ.. ولا تنتظر أحدًا.. فإن لم يُسعِد أحدنا نفسه، فلا ينتظر السّعادة على طبق ذهبيّ يُقدّم له مجّانًا".

- بصراحة كالشّمس.. لا مِراء فيها: "لا أجدُ وقتًا.. أوْقِديها.. هيّا.. ماذا تنتظرين..!؟".

- "سأفعلُ من أجلكَ.. وتستحقُّ ألف شمعة..".

- "ألفٌ فقط..!!. فأنا روائيٌّ أحتاجُ شموعَ الكون أجمع، عَلّها تضيء جُزءًا من مُحيطات عتمتي".

- "أووووه..!! بكلّ الضوء الذي فيكَ، لا تحتاج سوى أن تُغمض عينيك، لترى".

- "مشاعرُ حروفي الحبيسة تتناهبني".

- "شُعورِكَ الذي ينتابك هو تدفّق لبعض الإبداع، أعرفّ أنّ علماء النّقد يقولون: "إنّ الكاتب المبدع تنتابه أحوال غريبة، وكأنّه شخص آخر".

- "وكأنّكِ تُطلقين سهام الإيهام على دُموعي بجنون".

- "لا أبدًا.. أبدًا، بل مَنْ كان الياسمين موطنه؛ فلتكُن سماؤه قاربَ الإحساس المُبحر على جناح الكلمة، مؤكّدٌ أنّه سيرسو على ضفاف النّورِ".

- "أهكذا إذن..!!؟".

- "نعم هو النّور داخلكَ، كمجرّة بسبع شموس.. يفردُ أجنحةً حانيةً في فضاءات الرّوح، لأنّه حتماً.. يشبهك تمامًا".

***

الانزواء

الانزواء نزوع أوّليٌّ للتحرّر من المحيط، بعيدًا عن أعيُن الرّقابة في مكانٍ مُتوارٍ عن لفت الانتباه إليه. جلسنا بانتظار قدوم الحكواتي، في العادة لا يتأخّر عن موعده.. يبدو أنّ الطّريق غير سالكة بسهولة.

تكهّناتٌ مُتسائلة..!!

صوتُ انفجار قويّ، يبدو أنّه في الحارة المُجاورة. قال النّادل. لا تعليق على ما سمعوا.

لم تتّضح الحقيقة بعد.. انفَضّوا خائبين، والغضب يتملّكهم.

***

الخاشوقة

تذكرت أننا أحيانا كنا نستخدم كلمة (خاشوقة..)، وهي ملعقة طعام كانت دارجة عند الفلاحين في حوران.. وهي كلمة تركية.. وخاشقجي سيكون له علاقة بهذا المعنى، إما صانعا أو بائعًا.. وهو ما درجت عادات المدن من إطلاق اسم المهنة على الصانع لها، أو المتاجر بها، ومع الأيام أصبحت اسمًا لعائلته.

الحبال، السيوفي، الشراباتي، الصابوني، البقججي، البصمجي، المحملجي، الصباغ، الطباع، السنجقدار، الدلّال، القهوجي، الحدّاد، الخدام، القصّار، الطنبرجي، الساعاتي، شيخ الارض، الفرّا، البندقجي، التوتنجي، السّروجي، حلوَنجي، السّمّاك، ملبنجي، قزّاز، الصقّال، طبّاخ، المُنجّد، الدّومري، الشراباتي، الملاّح، المالح، الشربتجي، السلاّخ، مسالخي، الجلاّد، السقّا، الناطور،

الصابوني، الصابونجي، القاطرجي، القطر نجي، فطاطري، الورّاق، العبه جي، الجبه جي، البقججي، البقجاتي، البصمة جي، البوسطجي، المحملجي، الصبّاغ، الطبّاع، الصوّاف، دبس وزيت، دبس، الصيدلي، الحجّار، الخطيب، الشّرع، السنقجدار، علم دار، بيرقدار، دفتردار، دويدار، الدلّال، البوّاب، القهوجي، البستنجي، القصبجي، الدهّان، الربّاط، الحدّاد، النجّار، الحجّار، النجّار، الطنبوري، الطرابيشي، الكوّا، المِكوَجي، السّكّري، معماري، معمرجي، السّاعاتي، شيخ الأرض، شيخ الجبل، شيخ الكار، الفرّا، الرّاعي، الأخرس، الأطرش، الأعرج، دخاخني، الفوّال، الجزّار، اللّحام، البنّا، المهندس، الدمرداش، أبو ريشة، الجوهري، الجوهرجي، الجواهري، المُزيّن، الحلاّق، المستكي، التنبكجي، السّنكري، السّيجري، الماغوط، الفاروسي، المراكبي، سكاكيني، السرّاج، الصّايغ، الصّاغاتي، العطّار، أبو عاشور، المعشّر، الطوّاش.

- **أبو عاشور والمعشّر:** من كان موظفًا لدى السّلطات أيام الدولة العثمانيّة، ويقوم بمهمة تخمين العُشر وتحصيله من المواطنين.

- **الطوّاش:** في الخليج وهو تاجر اللؤلؤ، والطوّاشي مفردة تركية تعني الخادم الخصيّ، يتولّى كثيرًا من المهام الخاصّة للملوك والأمراء.

- **الدّومري:** موظف في بلديات المدن الكبيرة مثل دمشق، وهو مُكلّف بإضاءة الفوانيس في الشوارع والأزقّة، وذلك قبل دخول الكهرباء للمدينة، ويقوم بصيانة الفوانيس وتعبئتها بزيت الإضاءة بشكل يومي، وبعد الفجر يقوم بإطفائها.

- **دويدار:** وهو الكاتب أو النّاسخ، وهو مما يخصّ مهنة الورّاقين، وهو حامل الدّواة أي المحبرة، التي تحتوي على الحبر، ويدور من مكان إلى مكان لاكتساب رزقه.

- **المستكي**: بائع أو تاجر المستكة العلكة.

- **الفاروسي:** وهو الرجل من البحّارة على قوارب الصّيد، مختصّ بنصب الشّراع وشدّ حباله وإرخائها.

هذه طائفة من أسماء المِهَن، أصبحت أسماء عائلات لمن يمتهنونها، جئت بها على سبيل المثال لا الحصر، ومعظم هذه الكُنى كما أعرفُها متوفّرة في بلاد الشّام.

وهناك التأثير الجغرافيّ في أسماء العائلات، أي أن القادم من منطقة ما سُمّي نسبة إليها، هذا عندما يُغادر بلده الأصليّ بقصد العمل، أو طلب للأمان إذا كان مهاجرًا.

فمثلاً من قدم حوران يُقال له حوراني، وقدم من المغرب يُقال له المغربيّ، ومن قدم القدس يُقال له المقدسي

والقُدسي، وكذلك السّوداني والعراقيّ والجزائري وماردیني وأورفلي وموصللي.

بينما هناك بعض العائلات أخذت نسبتها من وظيفة دينية، أو طريقة صوفيّة، عندنا الخطيب والشّرع والشيخ والخوري ومطران ومطارنة.

ومن جاءت كنيته من طريقة صوفيّة على سبيل المثال: الرّفاعي، نقشبندي، بلخي، حريري، زعبي، ومهدي، سنوسي. والبحث سيطول جدًّا، أكتفي بهذه الطّائفة من الأسماء والألقاب والكُنى. علّ فيها الفائدة للقارئ، وللباحث ربّما يبني عليها، ويشتغل على الإضافة وتطوير البحث بشكل أوسع وأشمل.

***

التطبيل والتزميز

*التطبيل: صوت صادر عن طبل بفعل قرع الطبّال عليه بعصا أو أي شيء آخر.

*التَّزميز: صوت المزمار، بفعل أنفاس نافخة فيه ممّن يستخدمه، لا أدري ماذا أطلق عليه (المِزمَرجي) أو (الزمّاري – الزَّمّار).

*المُصفّقون بأديهم، أو السْحّيجة، وهم تكملة الكَوْرَس، وتأتي تصفيقاتهم بحركات أيديهم ضمن إيقاع مُعيّن مُلتزم بانسجام تامّ بين إيقاع الطّبل والمزمار.

*الرّاقصون المنفعلون بحركاتهم الجسديّة الإيمائيّة التعبيريّة عن حالة ما، والسّاحة على اتّساعها لهم. فإما أن يكون الرقص جماعيًّا أو فرديًّا، ويكون مختصرًا على الرِّجال أو على النساء أو مُختلطًا.

ومنه الرّقص الحماسيّ الجماعيّ بالسيوف أو البنادق كرقصة الحرب وسِواها، وهو على خلاف الرّقص الهادئ بطبيعته الرّومانسيّة. وهذا مُختلِف عن الرّقص الشّرقيّ على منهج (نجوى فؤاد، وفيفي عبده، وشكيرا).

*المُطرِب أو المُغنّي، يشدو بصوته الجميل النّاعم، مصحوبًا بالإيقاع الموسيقي بتوافق حسب النوتات التي وضعها المُلحّن، وبإدارة المايسترو بحركاته الآمرة كحدّ السيف بدكتاتوريّة عجيبة، والنشوة تملأ قلبه حين سماعه دويّ تصفيق جماهير المتفرّجين المُنسجمين والمنفعلين، بأفعال الكورس الموسيقي (الطبّال، المزمرجي، المُصفّق أو السّحيج، المُطرب، المايسترو).

كلّ هذا من المُكوّنات هو الفرقة الموسيقيّة، وهي قاصدة بأفعالها وتقنيّاتها آذان الجماهير للاستماع لها.

***

تساؤل غير بريء

طائفة النّوَر (الغجر)، لماذا لا يوجد فيهم شهداء؟.

هل يعني لهم الوطن شيئًا ما؟.

على وجه الدّقة، هل للمكان أفضليّة لدى النّوَر؟.

مفهوم الوطن والمواطنة عند النّوَر؟.

فالغجر هامشيّون في حياتهم، لا انتماء لهم للمكان، لارتحالهم الدّائم طلبًا للرزق، التجذّر بالمكان يخلق تاريخًا لأي شخص ارتبك بمكان ما، و بالتالي هو سيحبّ المكان كونه صار جزءًا من تاريخه، مما يدفعه للاستماتة دفاعًا عن الوطن.

وعلى رأي .د. هاشم غرايبة، في كتابه (ديوان الغجر): (**الغجر يميلون إلى المحو والنسيان؛ فالكتابة تدوين وتذكير، وإذا كانت الملل البشريّة قد قدّست مُدوّناتها الميثيولوجيّة؛ فإننا لا نجد لدى الغجر مُقدّسًا، ولا حكاية مركزيّة تُمجّد**

الأجداد والجَدّات، لكنّنا نجد لدى الغجر حكايات وأشعارًا وأمثالًا وسلوكيّات وقِيمًا وعادات، تقاليد مشتركة، تُشكّلُ نمط عيش مُقدّس عندهم).

***

محطّات

* تعلّمتُ الكلام في خمسة أعوام، ثمّ احجتُ خمسين عامًا أخرى، حتّى تعلّمتُ الصّمت.

* إذا الفجر لا يستأذن أحدًا، والغروب مهما طال، لا يحول دون الشّروق، والفجر سينشقّ عن شروقه كلّ يوم.

* أين صفّارة القطار (التريْن) صُبحًا وعشيًّا يا سكّة قطار بصرى؟.

* ما القول: إذا جاءتك الطّلقة القاتلة من الجهة المأمونة لكَ، التي كنتَ تحسبها صديقة؟.

* اللّصّ هل هو بحاجة إلى دراسة جامعيّة، وكتابة أبحاث، وشهادات خبرة، حتّى يُصبح مُحترفًا مُعترَفًا بأنّه لصّ؟.

* هناك شفاه ما زالت ترتشف..!! ثمّة كوب من العسل ينتظر، وارتعاش النّحل مُتواصل مع إشراقة الشّمس.

-ردّت فايزة رشدان: (حقوق النّغم محفوظة في حنجرة الصّباح، وباقات الضوء تترك بصماتها على ياقات الإنصات. رائحة الصّباح هنا، وسفيرة النّدى.

* يكتوي الغياب بحرارة اللّقاء، وتذوب المسافاتُ حياءً، أمام الهمسات الدّافئة.. المُتدثّرة اشتياقًا.

* لن تموت الدّهشة في قلبي، ما دام تأثير الكلمات يسحرني.

* المطر يكشفني عن خفاياي، عُريي يكتسي بللاً زائدًا، رطوبة تُجفّفُ دفء روحي، عزف الأوتار .. تهتّك لحنها على بُوابات قلب المُثخن تجمّدا.

* أينما يمّمتُ وجهي.. ثمّة وطن.

* لا أدري على وجه الدّقة:

أنحن نُكبنا بانتمائنا لوطن؟. أم الوطن نُكبَ بنا؟.

ضريبة الانتماء باهضة الثّمن، وماذا خسر اللاّ مُنتمي، إذا كان الوطن يعني له شيئًا، وهل يترتّبُ عليه دفع ضريبة خياره؟. تساؤلات كبيرة كثيرة، تتزاحم للحصول على أجوبة مُقنعة..!!.

* أخاطبُ ظلّي إذا بدا لي، أسائلهُ عن حالي.

* تذوب المسافات عند اللّقاء.. ويكتوي الغياب بحرارة الغياب، وتذوب الأشواق خجلاً بينهما.

* الخطابات متاهات الجماهير، وألعوبة الزّعماء لإلهاء وإقناع الآخرين بهم، وبأفعالهم وبجرائمهم أيضًا.

* التكتّم على لحظات ممارسة الاستمتاع؛ هُروبًا من الأعين المُتلصّصة.

*آثار الصّدمات تبقى زمانًا تحفر ألمها في النّفس، وما بين الصّدمة والصّدمة .. موتٌ قاتل.

*يتوقّف الكلام المعقول، إذا ظهر كلام الخيانة والتخوين.

*وماذا لو كُنّا بلا أحلام، أو كان ممنوع علينا ممارستها، أو كان يترتّب علينا شراءها، ما نشتري بطاقات حُزَم الأنترنت، وماذا لو كان هناك أحلامًا مُحرّمة علينا؟. بلا شكّ ستتهاوى خيالاتنا في أذهاننا ذُبولًا.

*إذا ضاعت مفاتيح الأقفال؛ فالمطرقةُ فيها الحلّ لتحطيمها، وفقدان الأمل دافع قويّ لليأس، من جدوى البحث عنها.

*بعد الحرب يستقرّ المهزومون في قبورهم براحة تامّة وهدوء. والمماليك الجُدُد يُؤجّرون سيوفهم من أجل القضيّة العربيّة، ومصلحة الأمّة العربيّة، كما يقولون.

*كلّ النّوافذ تؤدّي إلى الخارج، إذا كنتَ في الدّاخل، والعكسُ تمامًا، والقبور بلا نوافذ، والزنازين في السّجون أيضًا بلا نوافذ.

***

الثّأر

*(**الثأر نقطة دم.. لا تتعفّن ولا تُسوّس**). و(**البدويّ الآخذُ بثأر أبيه بعد أربعين سنة. قيل عنه: مستعجل**).

بمعنى ينبغي أن يظلّ الإنسان حاملاً لهذه الفكرة، مهما مرّت السّنوات، وتقادمت الأزمنة. وأنّه موضع احترام لوصيّة الآباء للأبناء.

والمذمّة والعار لمن تخلّف عن الثأر، والتخلّف عن هذا الواجب الجاهليّ، كما يعتقد أصحابه، لوصفه بالمذمّة والعار، حيث قيل: (**لا يأخذ بثأر، ولا يحمي عارٍ**).

وفي المثل المصريّ: (**يا ما لِخِلْفِه النّدامه، تجيب لأهلها العار**). وعند اليمانيّين: (**يعملها الأقرع، ويتحمّلها أبو شعر**). من يحمل الدمّ عن الآخرين، ممن قاموا بالانتقام والقتل.

***

أكتبُ

لأتخلّص من الاختناق، لأطفئ احتراقي الدّاخليّ، لأتخفّف من حُمولة الأفكار، لأعيش مُتصالحًا مع نفسي.

لأسعدَ برؤية كلماتي تتقافز على الشّفاه، تُردّدها الألسنة مدحًا أو قدحًا.

لأتعايش مع المُحيط بي بسلام وحُريّة وشفافيّة، لأكون على قيد الحياة، مُستمعًا بمعطياتها.

لأغادر أوهامي.. وآلامي..

لأُقارِب الحقّ والحقيقة..

ولأمارس إنسانيّتي.

ولن أؤّجل كتابة كلماتي، إذا حضرت وتزاحمت على الخروج، لترى النّور.

مرحلة التفريغ الدّاخليّ تتيح للكاتب الانفتاح على مرحلة الإبداع في الحقل الإنسانيّ الأشمل، كنتُ أكتبُ في جانبٍ إنسانيٍّ مُهمٍّ، وعوامل الخوف في دواخل النّفوس، تلم مرحلة استغرقتني بما فيه الكفاية.

كتبتُ كثيرًا مما كنتُ أفكّر به، بعد الآن لا أخاف عليه ضياعًا؛ ارتاح قلبي.. وانشرح صدري لذلك.

فأنا على بُوّابة صدمة الخروج من شرنقتي إلى عوالم الحياة بأبعادها الإنسانيّة الأشمل والأعمّ، برواية تحليلية نقديّة، وإعادة تركيبها سردًا، بروح مُنفتحة، بتمهّل ورويّة. والأكثر رُعبًا في الحياة، توحّش الإنسان على أخيه الإنسان.

***

فوق الأرض

في معرض مُحادثة أدبية حول عملي رواية (فوق الأرض)، مع صديق وأديب، سُئلتُ: لماذا لم تتطرّق للموضوع الطّائفيّ في سوريّة، لأنّه الجزء الأكبر من المُشكلة؟.

أجبتُ: المطبّ الطّائفيّ.. مَطَبٌّ قذر، وإذا دخل به الكاتب، لا بدّ له من أن يسقط سُقوطًا حُرًّا، وعمله سيسقط حتمًا لا محالة، وسيكون جنينًا خدِجًا.

مُشكلتنا كسوريّين، خلافنا مع النّظام، وليس مع مُكوّنات النّسيج للمجتمع السّوريّ. والنّظام استجرّ الطّوائف إلى صفّه، وجعل بعضًا من أفرادها يُقاتل معه، ترغيبًا وترهيبًا للحياديّين منهم. وقد ربط مصيرها باستمراره. ومن المُستحيل أن أدخل في هذا النّفق المُظلم، مهما كان الأمر، أنا أكتبُ للحياة والإنسان، للحبّ والسلام.

***

سجل الموتى في المقبرة

هذه الأواق البالية التي تُسجَّل فيها بيانات المُتوّفين، كآخر شيء يربطهم بالحياة، عندها تُكون حياتهم كلّها، وسِني أعمارهم بأفراحها وأتراحها، مُجرّد سطر يبدأ بالاسم، وينتهي برقم القبر.

وما يُصوِّر حجم الخديعة التي نعيشها، عندما ننسى في غمرة الحياة، بأنّها زائفة، ولا تستحقّ الانشغال بها.

في هذا السّجلّ يُدوَّن أيضًا المدى الزمنيّ، فنجدُ المُتوّفين يُمضون مُدَدًا مُتفاوتة دون الارتباط بجنس، أو لون، أو عِرْق، أو صحّة، أو مرض، إنّما هي نهايات مُحدّدة في أزمنة مُقرّرة سَلَفًا.

***

تغاريد

* حين أرشُّ النّدى بلون عينيْكِ؛ يعود الفجر بهيًا؛ فتتجرّع العتمة عطرَ أنفاسك بلسمًا شهيًّا.

* الإطار تأطير، أي تقنين، والإطار حدٌّ وتحديد؛ وهو عائق في وجه الانطلاق لآفاق الحريّة، واللّوحة من اللّوح، وما لاح من بعيد.

* المعصم يأتلق بالسّوار.. السّوار قيد، والمعصم بحاجته حين يتباهى بجماله. السّوار لم يُغيّر من وظيفته، وإن كان من ذهب، فهو قيد إن علا أو دنا.

* الظلّ يبقى يتفلّتُ من إسار الشخصيّة، دائم النّزوع للحريّة. لا يستطيع مغادرة الدائرة، يلامس حدودها متأثّرا بحركة الضّوء، ويقفل عائدًا أدراجه مرّ أخرى ليتطابق مع حقيقته، ومرّة أخرى يبرز عنها لأمر ما زال مجهولًا.

* لا أدري سبب اهتمامي بتعداد سِني عمري.. ألأنّي مُستعجلُ الرّحيل؟ أم أصابني الملل؟.

الصّغير يستعجلُ الكِبَر.. طالبًا الازدياد من العمر..ّ!!

أَلِلْعُمرُ يكون للامتلاء منه أو به؟. وقيل: (لا تصُبّ العمر بكأسيَ المكسور).

* عندما يكون الردّ للإيهام يأتي ضعيفًا، حتّى وإن كان ظاهره قويًّا ومُمانعًا؛ لأنّه ضعيف في جوهره.. لكنّ التّصعيد للدرجة القُصوى إعلاميًّا، محاولة لبرمجة عقول النّاس، وإقناعهم بصوابيّة وأحقيّة الرّدّ. والرّقص مع الكلمات بثوبها الأسود.

* لا تُؤجّل كتابة حُروفك إذا حضرت، وتزاحمت على الخروج ساعية إلى النّور تزاحمًا.

* آثار الصّدمات تبقى زمانًا.. تحفر ألمها في النّفس، وما بين الصّدمة والصّدمة موتٌ قاتل.

* الأكثر رُعبًا في الحياة، توحّش الإنسان على أخيه الإنسان.

* مَن سلّم عقله للآخرين، مُن يلوم؟.

* أرى تغييرًا قادمًا في حياتنا بعد انتهاء أزمة وباء الكورونا، توجّه حقيقيّ بوعي لقدراتنا، وإمكاناتنا الذّاتيّة على صعيد الأفراد والجماعات والأوطان. وسائل التواصل أذكت حالة مُذهلة لتشكيل رأي عام يستثمر قادم الأيّام.

* روّعتني المطرقة، وهي تأخذ بيدي لتحطيم كاسات الشّاي في المطبخ.

* روّعني خبر إيمان أبو لهب.

* إذا استطعت أن تقنع الذّبابة، أنّ الزّهور أفضل من القمامة. حينها تستطيع أن تُقنع الخونة، بأنّ الوطن أغلى من المال. (تشي غيفارا).

*مؤلمٌ جداً إذا كان الطلاق الثالث.. فراقًا أبديًا، لا رجعة بعده. حتى لو حصلتُ على فتوى احتياليّة؛ داخلي غير مقتنع بها.

*طالت غفلتي على إدمانها في مجاراة المستجدات المُتسارعة على مدار السّاعة.

*رصاصة سخيفة، هازئة برأس، فقط لأنه لإنسان عابر إلى نقطة كانت مرصودة من قنّاص حاصد للأرواح بدم بارد ولا يرف له جفن، ولا قلب يهتزّ لزرع الموت في الدروب.

*إذا قرأنا الشعر.. والخشونة ما زالت في طبائعنا، فلماذا لم ترقّ مشاعرنا؟.

*ألا ترى المتاريس التي تتعاظم في دواخلنا، ومن خلفها ننظر للآخرين..!!

* هل أدركنا أن المتاريس تُباعدنا.. رغم بذل الجهود في تقاربنا.

* على لسان أهل الضحيّة: حتّى أنتَ يا مختار..!! لماذا تُعرقل أوراق الدّفن؟. طلبنا شهادة وفاة.. وليس شهادة جامعية لمحمد الموسى (قتيل فيلا نانسي عجرم، في قرية بنو سهيلة. كسروان لبنان)

*كنت أسمعُ عن حوار الطرشان، حتى رأيتُ أننا نتحادثُ من خلف متاريس دواخلنا المُرهقة إثقالًا وتخمة بنرجسيّتها.

* ربما يعلم النهر أنه ماء، ولكن لن يجيبه أحد..!!

*ربما يعلم الشاعر أنه لم يفهم عليه أحد، ولكن لن يجيبه أحد..!!

*في لحظة ما ربما ندركُ أن فينا شيئًا خاطئًا، ولكن متى نستدرك؟.

* إذا غرفنا أننا ما زلنا على صلابتنا البدائية؛ فما نفع الكتب التي بين أيدينا.. فلتكن من نصيب النار..!!

*اللجوء فرصة حياة أخرى.

*في أزمنة الوباء تتوقّف الحياة.

* لا استمرار لحياة تخلو من الحب.

*ربما يجبُن المرء ويتخاذل عن قول الحق، أو الدفاع عنه، لكن أن يكون جنديًا للباطل أمر غير طبيعي غير مبرر أبدًا. ولن يتطهّر مستقبلاً، ولو عمّدوه بماء نهر الأردن والنيل والفرات ودجلة.

* لا تؤجل.. لا تؤجّل كتابة حروفك إذا حضرت، وتزاحمت على الخروج لترى النور.

* كيف سيكون الإنسان في فكر السلطان، الذي لا يعلم شيئًا.. بل يكره حقوق الإنسان.

* جنون الطبيعة والحب والربيع من جديد. وأجمل أوسمته شقائق النعمان.

* أحياناً ألجأ للتكتم على لحظات الاستمتاع.. هروبًا من الأعين المُتلصصة.

*مُقدّمات ظننتُها زائدة في حياتي، ولن أحتاجها في مسيرتي، حاولتُ مرارًا التخفّف منها.. ذات يوم هائج برياحه كنتُ على وشك أن أذروها؛ لتغطّي الكون ما بين شرقه وغربه.

*الانتماء أو الميل لمواقف الغير، هل هو حالة صحيّة؟.

لعلّ الإجابة فيها شيئًا من روح التساؤل..

من الجميل الدّفاع عن آراء ومواقف غيرنا.. وهو تعبير نادر على الثقة المُوجّهة إلى هذه الزاوية، خاصّة إذا كنّا على إلمام تامٍ بكافّة الحيثيّات.

لكنّي بصراحة بالكاد أستطيعُ الدّفاع عن رأيي في هذه الفترة.

***

عزلة التّفكير

طقس الكتابة يفرض شروطه على الكاتب، ويستلزم التركيز؛ لتشكيل نصٍّ ما، هذا لا يتأتّى مع جُموع النّاس والأصدقاء والأهل.

والعزلةُ بداية تكون شُعوريّة، والانقطاع لهاجس خاصّة النّفس فقط. والاعتزال هو الفعل الظّاهر بمفارقة الجُمُوع للاختلاء بالذّات ومعها فقط.

ولن يكون هناك إبداع حقيقيّ مع الجُموع، إلّا بالتّواري خلف ستارٍ، لإتاحة التفكير التأمّلي، لفترة أطول استرضاء لدواخل الكاتب.

***

اعتراف

سأعترف بغبائي، رغم صعوبته على النّفس:

للمرّة الأولى في حياتي ركّبتُ، وفكّكتُ شيئًا لن أُفصحَ عنه لكَ عن ماهيّته.

وفي المرّة الثانية، نسيتُ إعادة تركيبه، وكي لا أبتعدَ بكَ كثيرًا، وتأخذكَ الظّنون بعيدًا.

إنّها فكرة راودتني زمانًا، أنهكتني اشتغالًا عليها.. لكنّها طارت. .!! ضحكَ صديقي من قلبه بصوتٍ نبّه عابري الطريق في الجهة المقابلة على الرّصيف.

***

قهوة الصباح

تتمازج رغوتها مع بُخارها بتحابّ العُشاق، تماوجت شهيّة الصّباح بما وصلني من رائحتها على أثير بُخارها.

عيناي مغروستان في فقاعات رغوتها..

هدأ روْع الفنجان..

انتحرت الفقاعات جماعيًّا على عتبات الصّفاء،

وفُقاعات الحياة لا تفتأ اندثارًا بانتهاء صلاحيّتها..

اختفاء أثر الفقاعات مع أوّل رشفة لي..!!

ولساني يتذوّق مرارة قهوة الصباح، فداء لمرارة شهر قادم.

***

الجمود

ما المُبرّر من تحوّل الإنسان بعواطفه وأحاسيسه ومشاعره إلى صنمٍ جامدٍ مُتكلّسٍ مُنطوٍ على ذاته، يُنظر إليه كتُحفة أثريّة قادمة من عهود بائدة فاقدة لمُبرّرات هروبها من ماضيها إلى مُستقبل الآخرين، ومُزاحمتهم عليه.

قلقُ الحاضر، والخوف من الخروج من إطار اللّوحة دافع السّعي إلى الخُلود.

فالمرحلة الصنميّة معنى الاستمرار، والبقاء بصيغة أخرى، في الحياة المُتخفيّة الرّتيبة، حيث توقّف الزّمن، وتراكم الغُبار، وربّما يلتقطُ أحدهم صورة، وعرضها للآخرين، لأخذ العبرة، أو على سبيل التفاخر.

***

علاقة المكان بالكراهيّة

والكراهيّة النّاشئة بسبب المكان، مثالها: مدينة القدس. الصّراع النّاشئ منذ فجر التّاريخ بين أتباع الأديان؛ لإثبات جذورهم التّاريخيّة في المكان.

حُجَجٌ مُتناقضة مُتضاربة السّند والرّواية: (المسلمون+ المسيحيّون+ اليهود). من المُفترض نشوء فكرة التعايش الإنسانيّ القائم على المحبّة.. ورضا كلّ الأطراف لكلّ أتباع الدّيانات السّماويّة بممارسة عباداتهم بكل حريّة.

دون الإضرار والاعتداء على حُرمة دور العبادة مهما كان الأمر، واختراق قُدسيّتها. فالأديان السّماويّة طبيعتها التكوينيّة المحبّة والسّلام، لأنّها جاءت من أجل خير الإنسان، وسعادته الدّنيويّة والأخرويّة.

***

صراع

بدل تحوّل الصّراعات الأيديولوجيّة إلى صراعات ذات طابع دينيّ، ومبنيّة على آراء ونظريّات آخذة بُعدًا إلاهيًّا، عير قابل للنّقاش أبدًا.

فمُجرّد محاولة الاقتراب من دائرة النّقاش حولها؛ تثور ثائرة أتباعها بعم أحقيّة الطّرف الآخر.. ورميه بكافّة الصّفات العنصريّة التي تدعو إلى القتل والاقتلاع من الجذور. والقضاء على آثاره الدّالة عليه، وطمسها، والسّعي لتشويهها.

روحانيّة القدس شوّهتها ثقافة الإقصاء والاستحواذ اليهوديّة، بما تمتلك من أسباب القوّة والقهر للفلسطينيين.

أمّا ادّعاءات بناء الهيكل، واحتلال حائط المبكى وجعله مكان عبادو يهوديّة.. والسّعي الدّائم للإضرار بقُدسيّة

المسجد الأقصى، ورمزيّته بالنسبة للمسلمين. الاصطراع على المكان أنتج الكراهية.

***

معنى

الرّائحة والطعم واللّون جزء من ذاكرة أيّ مكان؛ فهل يكون المكان معنىً بدون هذه الأشياء؟.

فهي التي تُضفي البهجة والسّرور، إذا ما ذُكر هذا المكان، وهي بدورها تقودنا لاستذكاره.

***

تزوير

تاريخ الفقراء مليء بالمآسي، لم يُسجّل التّاريخ مآثرهم وأفعالهم وأعمالهم؛ لتُسجّل زورًا باسم قائد أو حاكم، ونُسبت له كلّ الفضائل والانتصارات.

رغم أنّ الفقراء هم الأكثريّة، والمكوّن الأساسي للشّعوب، صنعوا الأعمال العظيمة. وهم الشّجعان في ساحات لمعارك، مطلوب منهم التّضحية بأغلى ما يملكون.

والقائد وزُمرته شريكته، يقطفون ثمار كفاح وتضحيات وانتصارات الفقراء. ولم يذكر كاتبوا التّاريخ غير ذلك أبدًا؛ فالقائد هو المنتصر، وصانع النصر والأمجاد، وهو لم يحمل سيفًا، ولم تطأ قدمه ساحة معركة قطّ. ثمّة شفاه ما زالت ترتشف الرّحيق.

***

على رصيف الميناء

تميلُ نحو الغروب أشرعتي تتهادى على تعب..

وأنين المجداف يُعانق أنفاسي الحرّى..

تعِبَ المشوار على رِمشي تهدّلًا..

والميناء ما زال بعيدًا..!!

وعيون حبيبتي ترقُب السّفين

تستهدي ريح يوسف قادمة على جناح نسمة.

تُكفكف دُموعها أسفًا.

والرّيحُ تسوق الموج.. لا كما اشتهائي..!!

*

ملّ الانتظار تِرددًا على شفتيْك يا حبيبتي.. اشتعالًا

كتسبيحٍ لاهِجٍ صُبحًا وعشيّا.

وأجاجُ البحر أزرقه نهايته ميناء عينيْك..

لا راحة لقلبي.. ولا تسهيد لجفنيّ.

إلّا بارتوائي من معين شفتيْك.

فأسكر.. لأبقى طول العمر سكرانًا..

أشواقي تُسابقني غير عابئة بامتداد البحار.

لا تنثني.. وإن أبطأ شراعي.

*

تتواثبُ أحلامي

تستجلي لحظة اشتباك للعيون

غارة خاطفة من جديد..

تُلهِب أكداس الحنين..!!

ولم ينطفئ لظى قلبيْنا

وجمرُ الأيّام يُعسعس تحت رمادٍ أنهكه طول احتراق..!!

سيُشعل دروب الضّنى؛ ليهتدي الشّراع

ولا يضِلّ الطرّيق

ولن تنتهي مُغامرتي المُتهوّرة على أنغام: "من أجل عينيْك..
عشقت الهوى يا حبيبي".

***

القبض على الزّمن

هل استخدامي للساعة هو محاولة منّى للقبض على الزّمن الفارط من بين أصابعي، ولن يتغير من الأمر شيئًا، إن كانت السّاعات من صناعة سويسرا أو تايوان. جميعها تُحاول جاهدة مُساعدتي في استدراك ذاتي في محطّات الزّمن المُتسارع. فهل باستطاعتها استعادة شيء مما مضى؟. وماذا لو تعطّلت؛ فهل سيتوقّف الزّمان إكرامًا لها، لأنّها دليله المؤتمن إليّ؟. أعتقدُ جازمًا: أنّني رأيتُ عجزي الفاضح في القبض على الزّمن أو إيقافه، ومُحاولاتي الفاشلة لا تفتأ تتكرّر المرّة تِلوَ المرّة.. دون تحقيق أدنى فائدة تُذكر؛ فما هو إلّا عنادًا في رأسي، كما سيزيف العنيد. دأبي يُماثل دأب الثّريّ وساعته الذهبيّة، التي ما إن لو وَزّع ثمنها، لأطعم قرية صغيرة لمدّة شهر كامل على الأقلّ.

***

الساعة

جدّي الأول فكّر في ملاحظة ومتابعة الظلّ كلّ يوم على مدار زمان طويل، حتّى حفظ مؤشّراته على الأرض، فكانت دلالة مُبتكرة مُبكّرة على وقتٍ مُعيّنٍ؛ تبعًا لحركة الشّمس أمّ الظلّ، وضياءها أبوه.

مغامرة جدّي انطوت على الإصرار للّحاق بالزّمن، عندما أدرك أهميّته في حياته، ثمّ ابتكر المزولة، والسّاعة الرمليّة، إلى السّاعة البندول الرقّاص، إلى ساعة اليد ذات العقارب الدقيقة، إلى الرقميّة منها والإلكترونيّة. وعلى رأي الشّاعر محمد الماغوط: (أعطونا ساعات ذهبيّة، وسرقوا منّا الوقت).

***

كلمة

*كلمة كانت مليئة بالحبر، اندلقت محتوياتها في جوفي، عندما تلعثمت أثناء نطقها. عيونهم تُحدّقني باهتمام، لاقتناص فرصتهم للإيقاع بي، وما زالوا.

*خيال الظلّ هو وَهْمُ الحقيقة، ربّما يسوق الأصل إلى ساحته بقوة، سواء برضا صاحبه أو عُنوة عنه.

*كان عليّ أن أكون كالإسفنجة تمتصّ الغبار والبلل عند استخدامها، وأنا أمتصّ أوجاع وآلام الآخرين مُلتصقًا بقضاياهم.

***

لعدم الإحراج

* ثقبها في الأعماق عندما نظر إليها، تملاّها، راح يتشرّبُ سُمرتها بشغف. لم يجرْ سؤالًا: إذا كانت والدتكِ على قيد الحياة، هل لكِ أن تسأليها؛ فأنا أعلمُ أنّ ديرتكم كانت مليئة بالغزلان وقطعانها. هل ما زال منها شيء في هذه الأيام؟.

لم يتأخّر الجواب لأكثر من أربع وعشرين ساعة، قالت: ما زالت الغزلان تجوب ديرتنا، بانتظار المهرة وصيّاديها.

***

أنديرا غاندي

*في مذكّراتها ذكرت (أنديرا غاندي) أنّها سألت والدها (جواهر لال نهرو):

- ماذا يحدث في الحرب؟.

- ردّ عليها: ينهار الاقتصاد.

- قالت: وماذا يحدث بعد انهيار الاقتصاد؟.

- أجابها: تنهار الأخلاق.

- قالت: وماذا يحدث أيضاً لو انهارت الأخلاق؟.

- ردّ عليها بمنتهى الحكمة: وما الذي يُبقيكِ ببلد انهارت أخلاقه؟.

***

لمن القمّة؟

* القمة تضيق دائمًا بالمتزاحمين على موطئ قدم لهم عليها.

* من هم الذين يستمرّون ثباتًا عليها؟.

* هل هناك خرقٌ للعادة بمن يصل إلى القمّة؟.

* هل يستطيع أحدٌ مهما كان احتكار القمّة له؟.

* كلّ الطّرق الشريفة مُباحة في سبيل الوصول إلى القمّة؟.

* هل هناك قمّة عالية، وأخرى أقلّ عُلوًّا؟.

* هل من الممكن توسيع القمّة لاستيعاب أهل الوساطات؟.

* لا أقصد القمّة المُكنّى عنها بلقاء الزّعماء، بل مَقصِدَ الأذكياء المُجتهدين السّاعين للارتقاء.

---

*خارج الموضوع.. سُئلت يومًا: كيف الحال؟. أجبتُ: الحمد لله أنا في القمّة..!!. استُغرِبتْ إجابتي، وماذا تقصد بالقمّة؟. بكلّ جديّة رددتُ: أي أنّني في الكرك. وكنت وقتها مقيمًا في محافظة الكرك جنوب الأردن، منذ آخر **٢٠١٢** حتى آخر **٢٠١٩**.

***

الثائر الحقيقيّ

الثائر الحقيقيّ سيصبحُ مُطاردًا داخل الثورة، عندها سيكون مُستهدفًا من الجميع، الذين شعروا بتناقضاتهم وسلوكيّاتهم معه. وبالتالي صنعوا منه عدوًّا مُشتركًا لهم، وهو يراهم كذلك عبئًا وثقلاً على ثورته. ما أصعب أن يصير رفاق الدرب أعداء، يتربّص كلّ منهم بالآخر.

***

قلمي

*قيل: (قال القلم: لم أنم رغم الألم)، وقلمي نيابة عن الأفلام الشّريفة: سأجعل من قلمي سُدادة لأفواه البنادق، ومنبرًا للحقّ والعدل، لكشف زيف الباطل وأدواته، وتسطير أروع الصّفحات لقادم الأجيال.

***

الحقيقة

يُقال: إنّك أصبتَ عين الحقيقة، وقلبُ الحقيقة، وكبدّ الحقيقة. لكنّها الحقيقة هي العين والقلب والكبد بذاته، وهي لا تقبل التأويل والتفسير، لشدّة وضوحها، وهي بيضاء ناصعة، لا تقبل التلاوين. ربّما لا تستوعبها عقولنا في الوقت الرّاهن؛ فالوقتُ حرِيٌّ به تجلِيتها، وربّما تتيسّر سُبُل فهمها، الأهمّ أن لا تبقى مجهولة لنا، أو محجوبة بسواتر التعتيم والتضليل. ستبقى القضيّة غير ملحوظة، لا تستبين ملامحها، إذا لم تُكتب وتُجلى بوضوح تامٍّ. فهناك من يعرفون، وآخرون يعرفون ويحرفون؛ فالحقيقة وليدة الحق. لا يكفي أن أعرف شيئًا، ربّما يكون صوابًا أو خطأً، والأدهى من يعرفهما سويًّا، ويقف على مسافة واحدة بينهما، الوقوف في المنطقة الرماديّة؛ قاتلٌ للحقيقة.. بما في هذه المسافة من تلوّن للمواقف..!!.

***

عجز مُعلن

هناك مقولة للدكتور غازي القصيبي رحمه الله: (قوّة الأقوياء من ضعف الضعفاء).

قدرّنا صنعناه بأيدينا، وجلسنا نلطم وجوهنا، ونجلد ذاتنا على ضعفنا، وعلى الأمم القويّة لعنًا وشتمًا، ودعاء بالهلاك والويل والثّبور. كلّ الشّعوب الأمم والدّول والحكومات، تسعى لتحقيق مصالحها القوميّة، إلّا نحنُ مستسلمين؛ نُؤدّي ما يُملى علينا وزيادة، لا رغبة عندنا بالتحرّك للذود عن مصالحنا، وشعوبنا ترزح تحت عبء الفقر والجهل والمرض، والظلم والتظالم. الأمم من حونا تُعاين ضعفنا وتفرّقنا واستسلامنا، مما أثار شهيّتها للزحف على أوطاننا، واستعبادنا، وهب ثرواتنا؛ فأيًّا كانت الأطماع؛ فالاستعمار استعمار، وكلّ ما هو غير عربيّ؛ فهو استعمار أيًّا كانت هويّته.

***

بلا عنوان

*بِصَمْتي أُحاكي الحياة..

بِصَمْتي أُناجي الإله.

*فلستَ الخضر حتى تخرق السفينة..!!

(فلما ركبا السفينة خرقها).

*ستنتهي الحرب..

وسيضمّد السوريون جراحاتهم بأيديهم.

معاقو الحرب هم الشريحة الأوسع.

والمفقودون سيؤرّقون قلوب أحبابهم مدى الحياة بغيابهم.

*الحقبة السوريّة الكوهينيّة؛ امتدت لنصف قرن، مخرجاتها قذرة.. قذرة جدًا.

*ما بين الحقيقة والوهم مساحة حرّة؛ تُحلّق فيها أحلامنا.. وآمالنا.. وما زال في القلب مُتّسع للحب.

*كثرة الروايات الكاذبة على اختلاف وتعدّد أهدافها؛ تسعى جميعًا لإخفاء الحقيقة.

*عجوزٌ مجوسيٌّ في أرذل عمره، ما زال يتمسّح بلحية صديقه يهوذا مُتبرّكًا ومُتعبّدا..!

*العمى الأديولوجي أطفأ بصيرتهم عن رؤية الدم والمآسي؛ فحسبوها انتصارات؛ بذلك غادروا إنسانيتهم إلى شيء آخر مغاير لها تمامًا.

*لا خاتمة للأحزان..، يبدو أن قطارها لن يتوقّف في أيّة محطة؛ لألتقط أنفاسي، وأحاول استعادة ابتسامة قديمة أجهلُ تاريخها.

*أحاولُ جاهدًا فهم نفسي..!..؛ فكيف لي فهم الآخرين على حقيقتهم؟.

*القطار لم يتوقّف.. والقافلة تجدّ في مسيرها، الأحمال الزائدة ألقي بها، ازدادت حركتها نشاطًا ورشاقة.

*تعدّدت الولاءات، ومطالب المُموّلين؛ هما المطبّات القاتلات للثورة الفلسطينية ومن بعدها السورية.

*لكل ثورة نهاية، ثمان سنوات خسرنا فيها كل شيء.. ألا يكفينا؟.

فلِمَ جلدُ الذّات، والتخوين، ارحمونا من المهاترات.

*ما للمُفلسين سوى التمنّي.. وما للنائمين سوى خيالات الأوهام.

*لا أدري ما الذي يجعلني أميل للتعصّب..!!

رغم يقيني: أنّ التعصّب مذموم غير محمود، إلّا للحقّ فهو نصرة له.

*كل مصيبة لها وجهها الآخر الباسم.

*الشعر دستور القصيدة.

*اللقاء الأخير لا يقلّ أهمية عن اللقاء الأول.

*الرجوع إلى الماضي ليس هروبًا من مرارة الواقع بالنسبة للروائي؛ إنما يريد أولًا تثبيت ذاكرته، كي لا تضيع، ويتخذها فيما بعد قاعدة يقف عليها.

***

تعاطف مختلف

* تعاطفي مع فكرة الثورة في سورية؛ فإنه لن يمنعني أو يُشغلني عن الإشارة إلى مواطن الخلل الذي أصاب بُنيتها، أستطيعُ إبراز محاسنها وفضائلها، وتسليط الضوء على مساوئ من ركب الموجة من السفلة والسّفاء والحراميّة والقوّادين والعملاء والمخبرين والانتهازين.

ما ظننتُه خُذلانًا للثورة، وطعنًا لها، فيما فعله الضفادع؛ الذين أجروا المُصالحات مع المُحتلّ الرّوسي والنّظام جاءت نتائجه باهرة.

فالمصالحات كشفت المستور المسكوت عنه لسنوات طويلة، من إجرام وفساد مُعظم المُسلّحين، المحسوبين على الثورة.

للأمانة أقولها: الثورة تخلّصت من أحمالها المُرهقة، التي توهّمناها.

لا خير في ثائر لا يقوم بواجباته، تجاه ربّه أوّلًا، ولا رجاء فيمن استخدم سلاحه لإكراه الآخرين على الإغضاء عن نزواته، خوفًا من عقوبة تنتهي بالموت المُحقّق لا محالة، كما حدث مع كثيرين من الأبرياء.

النتيجة: ما هو الفرق بين المُسلّحين وبين النّظام؟. الظلم واحد.. المظلوم هو الشعب من كلا الطّرفين الأشدّ سوءًا.

***

هواجس مقلقة

الهواجس تُغالبني، أحاول السيطرة عليها، والحدّ من تغوّلها المُريع على أفكاري. عيونٌ ترقُبني متوجِّسة من طريقي على مدار السّاعة، لا تنفكّ عن مُتابعتي.. عبر الهاتف من خلال الاطمئنان بين الحين والآخر.. وبينهما تنتبه (للايكات) على الفيسبوك على منشورات الآخرين.

ومن ثمّ على الواتساب، بإرسال وردة أو تحية مصحوبة برمز موحٍ. كيف لي براحة البال، وهدوء نفس ، وأنا أشعرُ بتواطئ التقنيّة. وخاصّة (الجوجل)؛ فهو بلا دراية منّي يُسجّل ويحتفظ بالأماكن التي زرتها ومررتُ بها، حتى قبل شهر أو اثنين، مع أنّي في الغالب ما أكون قد نسيتُ معالم تلك الأمكنة. يأتي جوجل ليُذكّرني، ويطرح أسئلته عليّ، طالبًا منّي الإجابة.

***

المؤلف في سطور

محمد فتحي بن قاسم المقداد؛ فهو من مواليد ١٩٦٤ بصرى الشام جنوب سورية من محافظة درعا. ناشط ثقافي مُتعدّد المواهب الأدبية، إضافة لعمله الأساسي بمهنة حلاّق.

*أعماله المنشورة:

١-كتاب (شاهد على العتمة) طبع ٢٠١٥ في بغداد.

٢-رواية (دوامة الأوغاد) طبعت ٢٠١٦ في الأردن.

٣-كتاب (مقالات ملفقة ج١) طبع ٢٠١٧في الأردن.

٤-رواية (الطريق إلى الزعتري) طبعت ٢٠١٨ في الأردن.

٥-رواية (فوق الأرض) طبعت في ٢٠١٩ في الأردن.

٦-مجموعة أقاصيص(بتوقيت بصرى) طبعت في ٢٠٢٠ في الأردن.

*أما أعماله المنشورة إلكترونيًا: فهي منشورة على مواقع تحميل الكتب المجانية، ومن الممكن الحصول عليها من خلال محرك البحث جوجل:

١- رواية (دوامة الأوغاد)

٢- كتاب (مقالات ملفقة ج١)

٣- كتاب (شاهد على العتمة)

٤- كتاب خواطر (أقوال غير مأثورة).

٥- كتاب خواطر (بلا مقدمات)

٦- كتاب خواطر (على قارعة خاطر)

٧- كتاب مقالات نقد أدبي (إضاءات أدبية).

٨- كتاب تراث (رقص السنابل)

٩- مجموعة قصصية (قربان الكورونا) خاصة في أدب العزلة زمن الكورونا.

١٠- مجموعة أقاصيص (بتوقيت بصرى)

١١- حوارات متنوعة بعنوان (على كرسي الاعتراف).

*أعماله المخطوطة:

١- (بين بوابتين) رواية تسجيلية.

٢- (تراجانا) رواية فنتازيا تاريخية متزاوجة كع الواقع بإسقاطاتها.

٣- (دع الأزهار تتفتح) رواية بين الماضي والحاضر.

٤- (زوايا دائرية) مجموعة قصة قصيرة.

٥- (رؤوس مدببة) مجموعة قصة قصيرة

٦- (سراب الشاخصات) مجموعة قصة قصيرة جدا\ق.ق.ج.

٧- (قيل وقال) مجموعة قصة قصيرة جدا\ ق.ق.ج.

٨- (مياسم) خواطر أدب نثري.

٩- (جدّي المقداد) سيرة الصحابي الجليل المقداد بن عمرو.

١٠- (الوجيز في الأمثال الحورانية) تراث حوراني.

١١- (الكلمات المنقرضة من اللهجة الحورانية).

١٢- (مقالات ملفقة ج٢)

*وقريبًا - تحت الطبع رواية (خيمة في قصر بعبدا) دخول في محاولة إشاعة مفهوم السّلم الاجتماعي بين الشعبين السوري واللبناني على ضوء ما حصل في ظروف الحرب واللجوء، بعيدًا عن مخرجات السياسة القذرة.

* عمل على جمع وإعداد (دليل آفاق حرة) للأدباء والكتاب العرب، بالتعاون مع الأستاذ محمد صوالحة من الأردن، مؤسس موقع وصحيفة آفاق حرة.

***

الفهرس

رقم الصفحة	الموضـــــــــــــوع
٥	المقدمة
٧	في المدينة
١٤	صراع الفاصلة والنقطة
٢١	الممحاة
٢٧	من ثقب الباب
٣١	بين أدب المهجر واللجوء
٣٤	خاطرة على قارعة الأدب
٣٦	ليلي مُتعب
٣٧	الموبايل
٣٨	بين حانا ومانا ضاعت لحانا
٤٠	كلمة كانت+ متابعة
٤١	ما وجدت شيئا

٤٢	استجداء+ الرد المناسب
٤٣	على شرفة ذكرى
٤٦	الانزواء
٤٧	الخاشوقة
٥٢	التطبيل والتزمير
٥٤	تساؤل غير بريء
٥٦	محطات
٦٠	الثأر
٦١	أكتب
٦٣	فوق الأرض
٦٤	سجل الموتى
٦٥	تغاريد
٧٢	عزلة التفكير
٧٣	اعتراف

٧٤	قهوة الصباح
٧٥	الجمود
٧٦	علاقة المكان بالكراهية
٧٧	صراع
٨٧	معنى
٧٩	تزوير
٨٠	على رصيف الميناء
٨٣	القبض على الزمن
٨٤	الساعة
٨٥	كلمة
٨٦	لعدم الاحراج
٨٧	أنديرا غاندي
٨٨	لمن القمة
٩٠	الثائر الحقيق+ قلمي

٩١	الحقيقة
٩٢	عجز معلن
٩٣	بلا عنوان
٩٧	تعاطف مختلف
٩٩	هواجس مقلقة
١٠٠	المؤلف في سطور

تمّ بحمد الله وتوفيقه

كتاب (على قارعة خاطر)

للتواصل مع المؤلف-الروائي محمد فتحي المقداد

الواتساب (٠٠٩٦٢٧٩٧٨٥٢٦٩٦)

الإيميل: (rafy٢bos٤٢@yahoo.com)

ملاحظة: استبدال أرقام الإيميل بالأجنبية بدل العربية.